الفصل الثاني

القيم الأخلاقية في نظر الفلاسفة قديما وحديثا

١.احيقار العظيم :

هو حكيم عراقي قديم ، وهو وزير سنحاريب ، الذي يحسن المشورة ويصوغ الحكمة في قول موجز بليغ ابن القرن الثامن قبل الميلاد و من مسوغات حكمته التي منحته الر شاد للبلاد والهداية للابناء والمشورة للملوك مهر عاً للملمات منقذاً للمستعصيات ، الا ان الحياة تغيرت عليه ، فكانت نوائب الدهر وعضاته قاسية مؤلمة ، برغم حكمته وصلاحه وادبه الواسع ومشورته الصائبة اصبح جزاؤه عن عمل الخير شراً ،و عن المودة والإحسان نكراناً للجميل لا تهامه بالخيانة، فقاس الالام المبرحة ، تجـرع كؤوس العطب والمرارة بوشاية كـاذبة من ابن اخته (نادن) إلى درجة ان الملك افتقد حكمته لكنه احتاج لمشورته بعد ان جنى عليه ، ولهذا كان ايمانه بالقضاء والقدرة وصبره الجميل نذيراً بخلاصه فخرج من ظلمات سجنه بريئاً وهو عظيم القدر رفيع الشأن. ومن خلال العبارات التي صاغها احيقار ، وصايا لابن اخته نادن نستطيع التوصل إلى نظرته إلى القيم الأخلاقية:

١. العنايـة فـي تربيـة النـشء الجديـد : لقد أوضـح احيقـار مـا لـدور التربيـة والالتزام بطاعـة الوالـدين من شـأن كبير فـي اعداد جيل قـوي مؤمن بالأخلاق الفاضلـة والصفات الجميلـة ، وكذلك حثهم علـى العمل والمثابرة لذلك قال:

- يابني ، انك لن تضل اذا عاشرت حكيماً ، ومع الضال لن تتعلم حكمة .

- يابني ، عاشر الحكيم تصبح حكيماً مثله ، ولا تعاشر الوقح المهذار لئلا تحسب نظيره.

- يابني لا تحرم ابنك من الضرب (التأديب) لان الضرب للصبي كالسماد للبستان ، وكالجام للبهائم وكالقيد في رجل الحمار .

- يابني ، اخضع ابنك مادام صغيراً قبل ان يفوقك قوة ويتمرد عليك فتخجل في مساوئه.

- يابني ،اذا ضربتك لن تموت ، واذا تركتك تتبع هوى قلبك لن تحيا.

٢.الأخلاق الفاضلة :

اكد احيقار في وصاياه على القيم الحميدة ةالأخلاق الفاضلة التي شانها تنظيم العلاقات بين الناس ، كالصدق في القول والمعاملة الحسنة والعطف والبر والاحسان ومساعدة الفقراء والمحتاجين والتعاون والتآزر و بر الوالدين وغيرها من الصفات التي شأنها تنظيم اواصر المجتمع والمساعدة على استقرارة ، كذلك المحافظة على كتمان السر وكل ماله اهمية في مسيرة الحياة الإنسانية بتجنب الثرثرة اذ يقول احيقار:

- شيئان هما فضيلة ، وفي ثلاثة يسير شمس الاولى من يشرب الخمر ويقدم للاخرين والثاني من يختزن الحكمة ، والثالث من يسمع الكلمة ولايفشيها.

- يابني ، لاتدع كل كلمة ولاتفش كل سر.

اعظم ماتراقب راقب فمك ، واغلق قلبك على كل ما تسمعه ، لان الكلمة كالطير اذا ارسله الإنسان لن يستطيع اصطيادها ثانية.

- احص كلمات فمك ثم أطلقها نصيحة إلى أخيك ، ان الخراب الذي يحدثه الفم اشد خطراً من الخراب الذي يحدثه الحرب.

- لا تفش أسرارك لصديقك لان اسمك لن يبقى محترماً لديه.

٣. الخير ومحاسنه والشر ومساوئه.

لقد شبه احيقار صفة المؤذي الشرير بالعقرب مستخلصاً من جميع حركاتها خبثاً شراً اذ يقول:

- العقرب يجد الخبز ولا ياكله لكي يعيش به (بل الأطيب لديه ان يتذوق فقط ، أي ينفث فيه سمومه وبالتالي يصبح مؤذياً لكل من يتناوله.

وصور الشر بالوحش الكاسرة اذ يقول:

-الأسد يبتلع الإبل وهو كامن في غاره .

-ويسفك دمه ويأكل لحمه ، هكذا هي معاشرة الناس .

ولهذا اكدت حكمة احيقار على المعاقبة الصارمة للشرير اذ قال :

- اذ ابدأ الشر من الناس ، فان الالهة ستعاقبهم بالشر مقابل ذلك نلمس الخطوة التي اثنى فيها على فاعل الخير والإطراء على الرجل الصالح ، اذ أورد :

- العيون الصالحة لن تظلم ، والآذان الصالحة لن تضم ، والفم الصلح سيحب الحقيقة وينطق بها.

- الرجل الرفيع الخلق الطيب القلب هو كالقوس القوي بيد رجل جبار .

- ان الإنسان لا يعرف ما يقلب رفيقه ، وعندما يجد الرجل الصالح رجلاً شريراً فانه يحذره .

- الرجل الصالح لن يرافق الشرير في الطريق ولا يتعامل معه .

٤. نبذ المشاجرة والخصومة :

وهي صفتان تجلبان الكراهية والحقد وتولدان الشر والاذى وتزرعان البغضاء والضغينة في الذفوس الضعيفة ففي حكمة احيقار فقد اشار بكلمات بليغة اذ يقول :الخصومة تعكر الماء الصافي بين الأصدقاء الأوفياء.

٥. الدعوى إلى الصدق

دعا الأقدمون إلى الصدق في القول وشجبوا صفة الكذب وبكل ما تحمله هذه الكلمة من بشاعة والحق الذي لها مراء فيه ان جميع الذين طرقوا ضروب الحكمة في مختلف الأوقات اكدوا مراراً النهي عن الكذب لما لهذه الصفة السيئة من عواقب وخيمة اذ يقول :

- كل ما تسمعه يجب ان تمنحه بأذنك ، لان جمال المرء بصدقة وقبحه بكذب شفتيه.

- اذا العرش قام اولاً على الكذب ، فان الكذب سيذله أخيراً وسيبصق بوجهه.

٢. بيكي احد حكماء مصر القديمة :

هو احد الحكماء الذين عاشوا في عهد الاسرة الثامنة عشرة وهو يرى ان المرء لا يفعل الخير إطاعة القانون ، او تثبيتاً للنظام فحسب بل امتثالاً لالهه الداخلي وهو ما يعرف الان بالضمير.

ان المصريين القدماء عرفوا كثيراً مما نعرف الان من الأخلاق العلمية ولذلك جاء في مجمل دفاع وجد في كتاب الموتى يتقدم به الميت دفاعاً عن نفسه موجه إلى اوزوريس:"اذني لم اقترف اثماً، ولم اعتد على احد ، ولم اسرق ، ولم اتسبب في قتل احد غيله وغدراً ، ولم أقتل الحيوانات المقدسة ، ولم اتلف ارضاً مزروعة ،ولم اشي بأحد ، ولم اغضب مطلقاً ، ولم ازن ، ولم ارفض سماع الحقيقة ، ولم اسيء لا إلى الملك ولا لأبي ، ولم الوث الماء ، ولم اجعل سيداً يسيْ معاملة عبده ولم أحنث في يميني ، ولم اغش في الميزان ، ولم احرم رضيعاً مرضعته ،ولم ا صد شياً من طيور الالهة ، ولم أمنع الماء في ايانه ، ولهم اقطع قناة ماء من مجراها ، ولم اطفيء ناراً حين الحاجة اليها ، ولم استحف في صوت الله في قلبي اني طاهر اني طاهر.

٣. بوذا حكيم الهند :

اسمه الحقيقي سيدارتا جوتاما وقد سمي بوذا (أي الحكيم) وابن الملك اقليمية في منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، ونشأ كما ينشأ امثاله ابناء الأسرات الكبيرة في اللذائذ والمسرات حتى بلغ عمره كما يقال تسعة وعشرين عاماً وصادف ان راى على مايرون في احدى جولاته شيخاً نال منه الزمن ، ومريضاً وجثة ، ورجلاً من رجال الدين ، فتأمل فيما وقف عليه عيناه ، واطال التفكير في الإنسان وما يلازمه على الأرض من شفاء والام ، واعتزم في نفسه امراً فترك مقره خلسة وذهب يحيا حياة العزلة والتفكير حيث اراد ،ثم انقطع تماماً في غابة ست سنوات ، قضاها في التفكير ، وخرج بعدها يعلن للناس انه صار "بوذا" أي حكيماً وفهم تماماً ان الحياة لاتخلو مطلقاً من الالم ، وان التخلص منه لايكون الا بالزهد في الدنيا والاعراف عن الرغبات والشهوات وخيرات هذا العالم المادية ، والاجتماعي على التأمل واخذ النفس بالمحبة والصداقة للجميع ، وظل عمراً طويلاً " ٤٥عاماً" يبشر بمذهبه في الهند كلها حتى توفي نحو سنة ٤٨٠ تقريباً قبل الميلاد. ومن اهم تعاليم بوذا انه الغي نظام الطبقات فكان مذهبه ثورة اجتماعية أشارت بمبادئي المساواة والاخوة الطيبة اذ قال :" عيشوا مخفين اعملكم الطيبة معلنين أخطاءكم احبوا الناس والكائنات كلها ، ليست الولادة من الطبقة معينة هي التى تخلق البراهمي الحق فهذا لا يتعلق بالأم ، انا اسمي براهميا الفقير، الذي لااريه له ، والذي هو بري يتحمل الإهانات والضربات ولو بالحديد وبصبر وطيبة ، والذي لايضرب حيوانا ضعيفاً أو قوياً ولا يسمح أن يكون كذلك والذي لايقاوم المعتدي عليه ، والذي لا يحسد حاسد به كل اولئك هم البراهميون الحقيقيون بهذا الاسم .

ويقول بوذا نفسه في بيان وجوب مقابلة السيئة بالحسنة **" اذا كان الحقد يرد على الحقد بالمثل فكيف ينتهي اذاً.**

اراد بوذا ان يعلم العالم سعادة النفس في عالم الخلود (النرفانا) ويعرف بوذا الترفانا بانها " القاء البضاعة الزائدة من رغباتنا الشخصية حتى لا يعوقنا شي عن اتحاد انفسنا مع الكون . او قل هي التحرير العظيم من الموت الذي يطرأ على الاحياء ، إلى الحياة الابدية ، لانه مادام سعينا وراء المطالب الأرضية ، فاذنا نبقى ابدا الدهر مرتبطين بالأرض وننتقل من حياة إلى حياة ، ومن زنزانة إلى زنزانة ولا اصل لنا من خلاص حتى ينتهي جشعنا. وقد عبر بوذا في اسلوب جميل من هذة الفكرة في الكلمة الاتية **" عندما تخمدنا الشهوة فتلك هي الترفانا. عندما تخمد نيران الكراهية فتلك هي النرفانا ، عندما يكبح جناح الكبرياء فتلك هي الترفانا،ليس لي ان اعلم إلاشيئاً واحداً هو محو العذاب "**

ان الخطة التي يضعها بوذا لعلاج التخلص من شهواتنا وتجنب الم الكرما (الجزاء) هي في الوصايا الثمان وهي:

١.تعلم كيف تفهم نفسك .

٢. كن صبوراً .

٣. تحدث في رفق.
٤. كن في فعلك نبيلاً.
٥. اعمل بأمانة .
٦. ابذل جهد ك في كل حين.
٧. كن سريع الاستجابة لحاجات جارك .
٨. لتكن نظرتك إلى العالم رحيمة.

وقد لخص بوذا هذه الوصايا الثمان في ثلاث كلمات : الشفقة والتقوى والمحبة وكان بوذا يبشر بتقوى قوامها أيمان واحد بسيط ، هو الاخوة الجامعة ،وقد استطاع بهذا الأيمان ان يكون صبوراً مع المشاغبين من اخوته في البشرية فكان يرد الشر بالخير ، ويجيب الإساءة بابتسامة .

٤. كونفوشيوس:

ولد من اسرة كبيرة عام ٥٥١ ق.م. ولما بلغ من العر سبعة عشر عاماً التحق بعمل مدني كاتباً في المكتب الوطني لتموين الحبوب ، ثم تزوج في التاسعة عشرة من عمره ثم ترك زوجته وابنه الوحيد واصبح مدرساً متجولاً وكان يدرس (التاريخ والشعر واداب اللياقة) وبعد رحلة في شرق الصين وغربها وشمالها وجنوبها كان فيها معلماً للأخلاق .وخلال تجواله استطاع تعلم الحكمة عندما بدا يبحث عن اجوبة لأسئلة جديد فراى امراة تبكي فسائلها قائلاً :" فيم حزنك وبكاءك أيتها المرأة" أجابت : انني ابكي ولدي الذي افترسه النمر في هذه المنطقة ، وسبقه زوجي إلى نفس المصير. ومن قبل زوجي لقى ابوه حتفه بالطريق عينها" فسألها " ولم اذن لم تنتقلوا حتى الان إلى مجتمع متمدن" فما كان من المرآة الا ان تسأله بدورها :"واين يا سيدي يمكن ان تجد مثل ذلك المجتمع " وهنا الجم السؤال لسان كونفوشيوس بما فيه من تحد . فقر قراره عندئذ ان يجد في البحث عن مجتمع متمدن ولذلك اهتم بعد ذلك بالإنسان وفضائله ، وتنظيم امور حياته من غير تشاؤم كما كان عند البوذيين ، ومن غير تكلف في البحث عن ادلة عقلية في مسائل نظرية فوضع فلسفة اجتماعية أخلاقية تقوم على أسس دينية بسيطة ، وعلى أسس في الطبيعة الإنسانية . وقد اهتم كونفوشيوس بالأخلاق الفردية والاجتماعية وبإرساء العلاقات الاجتماعية على أسس من المحبة والاحترام ، وهي عنده خمس علاقات هي **"بين الحاكم والرعية ، وبين الآباء والأبناء ، والأخ الكبير والأخ الصغير ، والزوج والزوجة ، والصديق والصديقة . ويسود هذة العلاقات مبدأ عام هو : لا تعامل غيرك بما لاتحبه لنفسك"** .لقد وضع كونفوشيوس مجموعة من القواعد يعود الناس أنفسهم بها على حب النظام والطاعة فاخضع كل عمل في الحياة للرعاية الشديدة لقانون آداب السلوك ذي التفاصيل الدقيقة وقد فضل كونفوشيوس ان يطلق عليه اسم قانون الأخلاق . والمذهب الأخلاقي الذي بشر به كونفوشيوس أسس على بعض الأفكار والآراء الميتافيزقية اذا اتخذ من المجتمع البشري غرضاً وحيداً لتفكيره وتأمله ،فهو يرى بان في التفكير شيئاً كثير الفائدة ولكن البحث افضل بكثير ، ودعا ايضاً إلى الاهتمام بالإنسان في حياته والعدول عن مناقشة الموضوعات الخاصة بالموت والأرواح وكأنه يتساءل فيقول اذا كنا نجهل ماهية الحياة فهل نستطيع معرفة الموت وما وراء هذا العالم

وكانت تعاليم كونفوشيوس تبحث في جميع مقتضيات الحياة ، فهي تحاول تنظيم العلاقة بين الحكومة والأنظمة والقوانين والشرائع والأخلاق والعادات وجميع شؤون الهيئة الاجتماعية ولذلك وضع كونفوشيوس مجموعة من القواعد يعود الناس أنفسهم بها علـى حسب النظام والطاعة فأخضع كل عمل في الحياة للرعاية الشديدة لقانون آداب السلوك ذي التفاصيل الدقيقة ، وقد فضل كونفوشيوس أن يطلق عليه قانون الأخلاق ، وكان هذا القانون غريبا معقدا كما كان يبدو للعقل الفري مجموعة مسلية إلى حد ما ينبغي ان يتناولها الناس في المناسبات المختلفة والمراحل المتباينة في الحياة كما أشار بأنواع الملابس والانحناءات التي ينبغي ان يؤدو ها عندما يحيون بعضهم بعضا ، والطريقة التي يسيروا بيها في الشوارع فالرجال على الجانب الايمن والنساء على الجانب الأيسر وكان صارما بوجه خاص فيمن يتعلق بسلوك الأطفال نحو والديهم ، هذا النظام كونفوشيوس لأدب السلوك المشار باتباعها جعل من الشعب الصيني واحدا من اكثر الشعوب المدققة في الرسميات في التاريخ كما أعطى الشعب ايضا شعورا باحترام الذات ،والشعور باحترام الآخرين .

ويؤمن كونفوشيوس ان المرء يولد مفطورا على الخير وفي ذلك يقول : **(يولد الإنسان مستقيما فمن فقد الاستقامة وما زال في الحياة ، فنجاؤه من الموت انما هو من حسن طالعه) ، ويقول ايضا : (ان الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم ، وكأنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الاخر تدريجيا وفق ما يكتسب من عادات . وقال ان الطبيعة الإنسانية مستقيمة ، فإذا افتقد الإنسان هذه الاستقامة أثناء حياته ، افتقد معها السعادة ، فالإنسان خير بطبعه ، أما الحيوانات الأخرى فهي ذات طبائع شريرة) .**

٥.الفلسفة اليونانية قبل سقراط (فيثاغورس) أنموذجا

ولد فيثاغورس (٤٧٢_٤٩٧ ق . م) ولد في ساموس احدى الجزر الايونية المقابلة لملطيا في حكم بوليقراطيس طاغية ساموس . . وهجر وطنه فرارا من الطاغية او نفيا او خشية من الفرس وقد اشد ضغطهم على اسيا الصغرى فذهب إلى ملطية ثم زار فينيقيا وتعرف فيها على بعض العقائد الشرقية ثم زار مصر وبقي فيها مدة طويلة يدرس عقائد وفلك وهندسة قدماء المصريين .ولما استولى قمبيز على مصر ذهب معه إلى بابل ودرس هناك الحساب والموسيقى واسرار المجوس والزرادشتية ، ثم عاد إلى ساموس وتركها مرة اخرى إلى كريت ثم استقر في افريطون او كروتون في جنوب ايطاليا حيث افتتح مدرسة .

وتأسست جمعية فيثاغروس واستطاعت ان تاخذ زمام الحكم وبعد بضع سنوات ظهرت حركة معارضة تزعمها فيلون الذي قضى على هذه الجمعية . واهم آراء الفيثاغورية هو :

١. ينسب لهم القول بالتناسخ وكان فيثاغورس يعتقد بذلك ويقول اكسنوفان و هو معاصر لفيثاغورس في بعض اشعاره ان الاخير اوقف شخصا عن ضرب كلبه لانه يعوي لانه عرف فيه صوت بعض أصدقائه . والفيثاغورية تؤمن بالخلود ، فبعد الموت تهبط النفس إلى الجحيم تتطهر بالعذاب، ثم تعود إلى الأرض تتقمص جسماً بشريا او حيوانيا او نباتيا ، وما تزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها ، مثلما قالت الاورفية ويروي ان فيثاغورس كان يدعى انه متجسد للمرة الخامسة .

٢. فضلا عن الزهد الاورفي يرى فيثاغورس ضرورة الاشتغال بالعلم الرياضي والموسيقي لتساعد على تصفية النفس ، والتطهير عنده يتم بالفكر النظري اكثر منه بالعملي بحيث ان دارس العلوم يكون اقرب إلى التطهير من مزاولها مثل ذلك ان اللاعب المزاول للعب اقل درجة من العارف بأصول اللعب .

٣. قالوا ان مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات او ان الموجودات أعداد وان العالم عدد ونغم، والعالم ما هو الا نظام مبهم من الأعداد او الأنغام، او قل هو وحدة من الأجسام السماوية تتحرك سويا بنظام إيقاعي وتحدث أنغاماً (وهي موسيقى الأجسام الكروية) في أثناء حركتها هذه ، أما فلسفة الرياضيات فلسفة العلاقات المتبادلة بين الأرقام جميعها، فقد كانت عند فيثاغورس الإجابة عن النظام الغامض للكون وجماله .

٤.ان الخير في انتصار الروح على الجسم وان الفضيلة في الأعراض عن الذات ، وان العفة جهاد بين العقل والشهوات وكانوا يدعون إلى ان يفحص المرء ضميره ليعلم ماتى من خير او شر وفي ذلك يقول :(**لا تجعل للنوم عليك سبيلا قبل ان تعرض عن نفسك ما مر بك في يومك وما عملته طيلة النهار ، فنساءل عما نقصك من خير كان يجب ان تعمله ، وعما اتيت من شر كان يجب تركه، وهكذا نستعرض أعمالك واحدا بعد آخر ، فان رأيت اخيرا انك اقترفت اثما ندمت والا سررت) .**

٦- سقراط (٤٦٩ ق. م – ٣٩٩ ق.م)

ولد سقراط في اثينا في عام ٤٦٩ق. م وبدا حياته نحاتا كأبيه الا ان ميله للحكمة ظهر في سن مبكرة بتأثير الاوساط الفيثاغورية فاخذ يغذي عقله ويهذب نفسه ، كما افاد من مناهج السوفسطائيين حتى كون لنفسه منهجا خاصا به ولم يأخذ بشكوكهم . كما اطلع على الطبيعيات والرياضيات واقتنع بان العلم انما هو العلم بالنفس من اجل تقويمها واتخذ شعارا له جملة قرأها في معبد دلفي هي (اعرف نفسك بنفسك) اما من الناحية الخلقية فقد كان يقسو على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل . فبينما كان يخدم في الجيش وهو شاب صغير كان يمشي فوق الثلج والجليد، حافي القدمين، في الوقت الذي كان يتذمر منه الجنود الاخرون ويرتجفون، وهم ينتعلون احذية مبطنة بصوف الغنم، ولم يكن من سقراط الا أن يعنفهم على شكواهم ، ثم يستمر في سيره وهو يغني .

وكان سقراط يحاور الناس في افكار تعرض له في الطريق، او مسائل كان السفسطائيون قد اثاروها وعلقت في اذهان بعض الناس ، وبشكل خاص فئة الشباب وكان يحاور في بعض القضايا التي اثارها الشعراء والكتاب والفنانون

والسياسين وذلك ليمتحنهم من اجل كشف عدم وعيهم وجهلهم ، ومختبرا غرور المعرفة لديهم محاولا تحويل المعرفة الوهمية الفاسدة إلى معرفة حقيقية كاشفا المدعين منهم الذين يزعمون العلم والمعرفة في كل ميادين الحياة الاجتماعية ولاسيما في ميدان السياسة وميدان التربية .

وبعد ان اشترك سقراط في حربين دامت الاولى من عام ٤٣٢ ق.م إلى عام ٤٢٩ ق.م ووقعت الثانية في عام ٤٢٢ق. م ودخل بعد ذلك إلى مجلس الشيوخ ، و عرف بالنزاهة واستقلال الرأي بين الديمقراطيين والارستقراطيين وكانت له موقف مشهورة جهر فيها بالحق والعدل ولا يخشى في الحق لومة لائم . وما ان انقضت فترة انتخابه حتى عاد إلى سابق عهده من البحث والعلم والحكمة والفلسفة وقد اخذ سقراط مبدأ السفسطائيين على الرغم من انه انتقدهم في كثير من الافكار الا انه اقر مبدأهم القائل **(بأن الإنسان مقياس الاشياء جميعا)** ولذلك طالب بان يعرف الإنسان نفسه ، وعدَّ ذلك جوهر موضوعاته ومحاوراته لذا نجد ان الفلسفة عند سقراط قد انحصرت في دائرة الأخلاق باعتبارها اهم ما يهم الإنسان وهذا معنى قول (شيشرون) . ان سقراط انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أي انه حول النظر من البحث والعناصر إلى النفس وتدور الأخلاق حول ماهية الإنسان . لان الإنسان اذا استطاع معرفة نفسه فانه يتمكن من كبح ميوله واهوائه .

لقد ربط سقراط بين المعرفة والفضيلة ، وذكر بان المعرفة هي الفضيلة ، والمعرفة عند سقراط هي معرفة النفس ، وهي تنبع من الداخل ، ولا تأتي من الخارج وهذه المعرفة هي التي توجه السلوك نحو الافضل . وقد عنى سقراط بتحديد الفضائل وكيفية تطبيقها ، وبذلك تسموا الأخلاق ، وتطهر النفوس لذلك اعتبر سقراط مؤسسا لعلم الأخلاق ، واهم الفضائل عنده هي معرفة النفس وضبطها والتحكم بها. وعد المعرفة ضرورية للعمل الحر ، و هي فن الحياة الحق ، ومع ان هذه المعرفة هي اساس فن الحياة فان عدم كفايته التعليمية كانت السبب الاساسي أخفاقه في احداث اصلاح في الحياة الاثينية .

٧ . الفلسفة الرومانية (افلوطين) أنموذجاً :-

ولد افلوطين في ليقوبوليس من اعمال مصر الوسطى في سنة (٢٠٥م) تثقف في مدينته وفي الثامنة والعشرين قصد إلى الاسكندرية . والتي انتقلت اليها الفلسفة بعد ان بناها الاسكندر عام ٣٣١ ق.م واسس فيها البطالمة مكتبتها الشهيرة وصارت الاسكندرية ملتقى العالمين، ومثابة العلماء والفلاسفة من كل فج، مابين يهود ومصريين ويونان ورومان. وفي هذه المدرسة العالمية تالفت المدرسة الافلاطونية الجديدة على يد (امونيوس ساكاس المتوفى ٢٤١م) ثم افلوطين المصري الذي تتلمذ له وعاش من عام ٢٠٥ إلى عام ٢٧٠م .

لقد تتلمذ افلوطين على أمونيوس من ٢٣٢ إلى ٢٤٢ ، وفارقه ليواكب الامبراطور غورديانوس في حملته على الفرس . لانه اراد الاطلاع على الافكار الفارسية والهندية ، ولكن هذا الجيش ، بعد أن طرد الفرس من سوريا انهزم إلى العراق ، فلجا افلوطين إلى انطاكية ، ثم رحل إلى روما وهو في الاربعين واقام بها حتى وفاته عام ٢٧٠م .

لقد تاثر افلوطين بفلسفة افلاطون وفلسفة آرسطو، بتعاليم زرادشت التي درسها بفارس وان فلسفة افلوطين عرفت بالفلسفة الفيضية وهي ترى ان جميع الموجودات صدرت عن الله بطريق الانبثاق كما يفيض النور عن الشمس والحرارة عن النار من غير ان ينقص ذلك الشمس والنار شيئاً وبما ان النفوس فاضت هكذا عن الله فهي تشتاق اليه دائماً وتحس ميلاً اليه وإلى الاتصال به، برياضة النفس والايمان في التامل والتفكير والغيبة عن الوجود .

وعن هذا المبدأ فيما بعد الطبيعة نشر (افلوطين) ، اخلاق مدرسة الاسكندرية فلسفتهم كلها ، تقوم على التصوف الذي يدعو للتأمل اكثر مما يدعو للبحوث العقلية المحركة ، هذه الأخلاق هي سير دائم نحو الكمال وارتفاع مستمر إلى الله ولهذا يرى (افلوطين) ان التامل هو الفضيلة التي لها القيمة الحقة وان جعل السعادة في العمل معناه جعلها في اشياء غريبة عن الفضيلة .

ان الحرية الإنسانية عند افلوطين لا تتأثر بحركة السماء فان هذه الحركة انما تساهم في الاحداث على الذمو الذي به تساهم الجسيمات ، فتؤثر في الكيفيات الجسمية من حرارة وبرودة، وفي الامزجة الجسمية الناتجة عنها ، اما الخلق والفضيلة والعلم والاختراع، فأمور مباينة للجسمية فكيف تحدثها الكواكب، وكيف يكون للكواكب دخل في الرذائل والكواكب آلهة. إننا إذا جعلنا النفس في ذاتها وفي صلتها بالجسم، قلنا انها ليست خاضعة للطبيعة او الكواكب ، أما اذا اتحدت بالجسم، فقد صارت جزءاً من الطبيعة وعبدة للقدر الذي تساهم فيه الكواكب، فالأفعال الصادرة من التأثر بالأشياء الخارجية ، والأفعال الرديئة ليست جديرة بان تسمى إدارية ولكن حين تسترشد النفس بالعقل المجرد، فحينئذ يجب القول

ان أفعالها متعلقة بها ، ليست نظام العالم موجوداً بذاته ولكنه متعلق بالنفس المديرة للعالم طبقا للعقل فليس للفضيلة سيد ، وهي ستدخل أفعالها في نسيج الكون لان المحسوسات تابعة للمعقولات .

اما أمهات الفضائل المعروفة، وهي الحكمة والشجاعة والعفة والاعتدال او العدالة فليس لها من قيمة الا تطهير الروح بأبعادها عن الشر وأبعادها من الإثم و هذه الفضائل كما تطهر الروح تزكي العقل وتساعده على الاستغراق في التأمل والتفكير ، حتى يصير المرء أهلها لان تهب عليه نسمة من رحمة الله، فيصل إلى الانجذاب الذي يجعل من المحب والمحبوب شيئاً واحدا بانصراف المحب من ذاته حتى لا يشاهد الا الله وحده . هذا الانجذاب هو الخير الأعلى والسعادة القصوى التي تدوم الا لحظات لكنها تملأ النفس غبطة لا يدرك كنهها و مدى لذتها الا من سعد بهذا الاتصال الذي لم يتذوقه (افلوطين) نفسه الا أربع مرات فيما يروي عنه تلميذه (فورفوريوس) .

ان في اخلاق الافلاطونية الحديثة نزعة صوفية روحية غالبة لا تتفق مع تلك النزعات العقلية التي اثرت من اليونان فان مرد ذلك إلى ما كان من تاثر رجالاتها ولاسيما افلوطين بالتصوف الشرقي بسبب تطوافه ببلاد الشرق واخذه من تعاليمه.

٨. جوهان آموس كومينيوس (١٥٩٢ - ١٦٧١)

ولد كومينيوس في نفتر احدى مدن مورافيا في عام ١٥٩٢، وكانت حياته مليئة بالمآسي والمحن والاضطهاد ، فان نشأته الدينية ، بكونه احد رجال كنيسة مورافيا وراعي هذه الكنيسة واحد اتباع جون هس جعلته يعاني من ويلات الحروب الدينية التي دارت رحا ها في ارض وطنه بين الكاثوليك والبروتستانت وخاصة في فترة حرب الثلاثين. فقد نسف بيته واحرقت كتبه واعماله الأدبية والتربوية ، وقتلت شريكة حياته واطفاله. واضطر ان يعيش اغلب فترات حياته في المنفى .

ان فلسفة كومينيوس هي فلسفة حسية واقعية اذ يرى ان الإنسان اشرف المخلوقات واعزها سلطاناً، وقصارى غايات الإنسان لاتدل في هذه الحياة لان الحياة الدنيا دار يتزود الإنسان فيها لحياة اخرى دائمة هي الاخرة، وان الزاد المطلوب للاخرة يتضمن اموراً ثلاثة اولها ان يعرف الإنسان نفسه معرفة صحيحة وثانيها ان يقدر سياسة نفسه ويكون سيدها مسيطراً عليها وعلى كل شيء في العالم السفلي، وثالثها ان ينسب نفسه واعماله وكل شيء آخر إلى قدرة الله عز وجل شأنه. ويرى كومينيوس ان الإنسان والنفس الإنسانية لن تصل إلى هذه المراتب الثلاث حتى يتصف بثلاث : العلم والفضيلة والتقوى (محبة الله) .

ويعتقد كومينيوس ان الدين يجب ان يتخذ التربية وسيلة للتاثير في الناس والوصول اليهم إلى الأهداف السامية. كما يرى ان التربية هو خير سبيل لاصلاح المجتمع واصلاح الفرد فهو يقول في كتابه المرشد الأعظم : (**ان الهدف الأسمى للإنسان هو السعادة الأبدية بالاتصال بالله)** فالغرض من التربية هو مساعدة الإنسان على الوصول إلى تلك الغاية العظيمة وقد كان رجال التربية في ذلك الحين يرون ان التربية تساعد على الوصول إلى تلك الغاية بالعمل على تحطيم الغرائز والشهوات ، بسلوك مسلك تهذيبي وروحي يؤدي إلى تلك الغايات ، الا ان كومينيوس اتجه اتجاهاً يختلف عن هذا الاتجاه. فهو يعتقد ان الغاية الدينية القصوى يحصل عليها الإنسان بسيطرته على نفسه ولضمان ذلك ينبغي ان يعرف الإنسان نفسه، كما ينبغي ان يعرف كل الأشياء ، فالمعرفة والفضيلة والتقوى هي أهداف التربية .

٩. اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) :

ولد باروخ اسبينوزا في مدينة امستردام في ٢٤ من نوفمبر عام ١٦٣٢ لأسرة يهودية برتغالية هربت من الاضطهاد هناك إلى هولندا . وكان اسبينوزا محباً للاطلاع شغوفاً بطلب العلم والمعرفة، وكان ابوه يعده ليكون حبرا من احبار اليهود فبعثه إلى المدرسة حاخام مشهور يدعى مورتيرا (Morteira) فتعلم على يديه اللغة العبرية وتلقى اصول التلمود والكابال فدرس الديانة اليهودية وتاريخ اليهود والفلسفة اليهودية التي خلفها فلاسفة اليهود في الاندلس ومن بين هؤلاء ابن ميمون وابن عزرا وموسى القرطبي والتي كانت فلسفتهم متاثرة بفلسفة المسلمين وبخاصة فلسفة ابن رشد .

ثم درس اسبينوزا اللغة اللاتينية لدى طبيب يدعى فان دن إندة مما ساعده على اكتشاف فلاسفة القرون الوسطى وعلى رأسهم القديس توما الاكويني وفلاسفة عصر النهضة ، ومن بينهم (فيتشينو) و (برونو) وفلاسفة العصر الحديث من امثال (بيكون) و (هوبز) و (ديكارت) .

وبعد أن درس هؤلاء اصبح بعيدا عن الفلسفة اليهودية ، واصبحت عنايته بالطقوس الدينية اقل مما كانت عليه ، وحمل من الفكر مالايمكن للديانة اليهودية ان ترضى به وقد حاول بعضهم رده إلى حظيرة الدين ، وقد حكم عليه حكام امستردام بالنفي مدة شهر . فلجأ إلى احد ضواحي امستردام بعدما لقيه من محاولة اغتيال من طرف بعض المتعصبين، وبعد تنازله التلقائي عن حقوقه في تركة ابيه على اثر مادبرته له اخته من دسائس دينية لحرمانه من الميراث. وقام بتغيير اسمه العبري (باروخ) إلى بتيديكتوس في اوفركرك باحدى ضواحي امستردام ثم بعد ذلك اقام في ضواحي لاهاي وقد توفي بعد اصابته بمرض السل الذي عانى منه طويلاً وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٧٧ عن عمر لا يتجاوز الأربعة والاربعين . واهم مؤلفاته:

١. مبادئ في فلسفة ديكارت .

٢. رسالة اللاهوت والسياسة .

٣. رسالة في اصلاح العقل .

٤. علم الأخلاق.

اما الأخلاق عند اسبينوزا فنجد ان الأخلاق عنده عاطفية طبيعية في مبدئها ، عقلية نظرية في منتهاها حيث اعتمد في تحليله للميول والعواطف على ديكارت فيرى ان اساس الميول والعواطف غريزة حب البقاء ، التي تدفعنا لان نسير ونتحرك ونجد ونعمل وعنها تتولد الميول والعواطف الاخرى ، فباسمها تسعى وراء النافع وتتجنب الضار وفي اشباعها ما يبعث على السرور وفي معاكستها ما يلحق بنا الالم . واللذة والالم بوجه خاص يدخلان في كثير العواطف ، فالحب والبغض ليسا الا لذة او الما شخص واتصل بشئ معين ، ولولا خشية الألم ما اشفقنا على البؤساء وعطفنا على المحتاجين ، ولولا الرغبة في لذة المدح والاطراء ما تعلقنا بالشجاعة والتضحية .

هذه الأخلاق وان كان هدفها السعادة بوجود اللذة وانتقاء الألم ، الا ان هذه الأخلاق بوجه عام تدور على ان (محاولة الفهم هي اساس الفضيلة الاولى والاوحد) . وذلك لان التفكير يجعل الإنسان ان يرى موقفه من جميع نواحيه ، اما اذا تحكمت فيه العواطف فانه لايرى من الموقف الا جانباً واحداً وبذلك يصل إلى نتائج باطلة وكلما استطاع العقل ان يحول ما فيه عواطف إلى افكار كلما صار اقوى وابعد عن ان تاثر عليه العواطف الجامحة ، وشهوة الإنسان ان كان مصدرها الذي تولدت عنه فكرة مبهمة ناقصة عدت عاطفة ، اما اذا نشأت عن فكرة مضبوطة واضحة كانت فضيلة محمودة ، فكل ما يعمله الإنسان ويكون مبنياً على اساس من العقل والتفكير بها لاعلى المشاعر والعواطف فهو عمل فاضل واذن لا فضيلة في رأي (اسبينوزا) الا العقل . ثم يقرر ان العقل يجب ان يصنع قانونا ينظم رغبات الإنسان المتنافرة وبعدئذ يستطيع الإنسان ان يسلك سلوكاً يتفق مع ما يمليه العقل الذي يعيذنا ان ننظر إلى المواقف المختلفة نظرة واسعة شاملة تنفذ بمساعدة الخيال إلى ابعد النتائج، فبالعقل والخيال معاً يستطيع الإنسان ان يتنبأ بما عساه ان يحدث ، وبهذا يستطيع ان يتحكم في مستقبله وان يحرر نفسه من كثير من القيود بهذا وحده يكفل الإنسان حريته، اذ الحرية الحقة هي سيطرة العقل وفاعليته وهي التخلص من اغلال العواطف العمياء التي لا تسترشد بهدى العقل ، ولن يكون الإنسان حراً الا بقدر ماهو عالم عاقل، ولكي تكون انساناً كاملاً لا ينبغي ان تتحرر من قيود المجتمع ونظامه ، لان سمو الإنسان هو في التحرر من فردية الغرائز وتحكمها ، وبهذا وحده يكمل الإنسان الحكيم . ونظراً لان القوة الدافعة لنا من وراء كل افعالنا ، هي حفظ الذات ، فانه يرى ان الانفعال يمنع الذهن من الوصول إلى رؤية عقلية كاملة للكون .

وعلى هذا فأن (اسبينوزا) يبحث عن التحقيق الكامل لكل فرد وللجميع بوصفه الرجل النموذجي للعصر الجديد، والفرد لا يستطيع ان يحقق ذلك في عزلة عن الناس اذ انه ليس هناك في العالم شيئ ينفع الإنسان بقدر ما ينفعه أخوة الإنسان ، ان قوة الإنسان أي فضيلته، تزداد وكلما يخطو الإنسان خطوة جديدة نحو التعاون الذي يضم هذه القوة إلى قوة الاخرين من البشر. ويرى ان الإنسان يكون في حالة عبودية مادام خاضعا للمؤثرات والاسباب الخارجية وهذا يسري في الواقع على كل شيئ متناه، ولكن بقدر ما يستطيع الإنسان تحقيق الوحدة مع الله الا يعود

خاضعاً لهذه المؤثرات ، لان الكون في مجموعة لا يخضع لتحكم شيء، وهكذا فان المرء يتوافقه اكثر فاكثر مع الكل يكتسب قدراً مناظراً من الحرية ذلك لان الحرية هي بعينها الاستقلال ، او التحكم الذاتي ، و هو لا يصدق الا على الله وعلى هذا النحو نستطيع ان نحرر انفسنا من الخوف . ولهذا يقول اسبينوزا **(ان الإنسان الحر لا يفكر في شيئ اقل من تفكيره في الموت، ان حكمته تكمن في التأمل في الحياة لا في الموت)** .

ويرى اسبينوزا ان سعادة الإنسان الحقة تكون بالفضيلة والكمال العقلي وان ذلك يستلزم ان يكون المرء خيراً ، والخير هو الحرية أي عدم استعمل للهوى والشهوات التي تتطلب الخبرات الحاضرة العابرة التي لاقيمة لها ولا نظام بينها، الحرية تكون بالحياة حسب قانون العقل الذي يقارن الخبرات المستقلة بالخبرات الراهنة ، وموضوع هذا العقل ، الذي يصبو اليه ويتطلبه، هو نوع من الخير لايمكن ان يبيد وهو العلم، وخاصة العلم بالحقائق الخالدة.

وبهذا يجعل (اسبينوزا) قاعدة السلوك مبنية على اساس من العقل والتفكير لاعلى المشاعر والعواطف وحدها. كما انه لم يكن مثل (كانت) يعتقد ان هناك خصومة بين الفضيلة والسعادة وان احداهما تتطلب تضحية الاخرى .

١٠. مالبرانش (١٦٢٨ – ١٧١٥):

ولد مالبرانش في السادس من أغسطس سنة ١٦٢٨ في باريس وكان ابوه سكرتيراً للملك لويس الثالث عشر ، وله عشرة أولاد أخرهم (مالبرانش) فاعتنى بتربيه وافرغ جهده في تثقيفه وتهذيبه ودرس في (السوربون) الدين والفلسفة على اختلاف مذاهبها ولاسيما فلسفة ارسطو. وقد تأسست فلسفة مالبرانش على مذهب ديكارت الذي اعتبره مالبرانش المعلم الصحيح واخذا ايضا بعض الأقوال من اغسطينوس وتوصل بعض النظريات وبرع أيضاً في الرياضيات واشتغل في الطبيعيات ، أما أهم مؤلفاته فهي :

أ.البحث عن الحقيقة .
ب.رسالة في نواميس الحركة .

ج.تأملات مسيحية .

د.الأخلاق .

هـ. مابعد الطبيعة .

و.محبة الله .

اما عن الأخلاق فقد ذهب مالبرانش إلى البصيرة او القوة المعصومة يسميها بالعقل العام الخالد، او العلة الأولى الكاشفة للكل، الا انها هي التي تحكم على الأفعال من حيث خيرتها وشريتها ، و هي مقياس الفضائل والرذائل وهذا ليس من اختصاص العقل البشري وذلك لانه يجزم بان كل الأخطاء الأخلاقية لم تأت الا عن طريق العقول البشرية الخاصة، وعلى ضوء هذه النظرية استطاع (مالبرانش) ان يكتشف في سهولة حقيقية الفضيلة والواجب بهيئة لايغيرها اختلاف الأزمان ولا ينال منها تباين البيئات ، لانها مبنية على اساس النظام العام في الكون وتحقيق الكمال المطلق وهذان الأساسان لا يختلفان البتة

وذهب إلى ان الفضيلة هي حب النظام الالهي للعالم، والفضائل التي لا تصدر عن هذا المبدأ هي ظاهرية غير صحيحة وذلك لان الإنسان كائن عاقل فهو لايرتب فضيلته او كماله الاعلى محبة العقل أي محبة النظام ولاتهم في ذلك معرفة الحقائق النظرية . لقد عنى مالبرانش يعلم الأخلاق فتناوله البحث في كثير من كتاباته فيقول بأنه لا يوجد علم له كثير اتصال بنا اكثر من الأخلاق ، ذلك لانه هو الذي يعلمنا واجباتنا نحو الله والملك والأهل وجميع ما يحيط بنا بصفة عامة، كما يعلمنا الطريق الذي يجب سلوكه لنكون سعداء سعادة خالدة ، ولهذا فكل الناس في حاجة ماسة لتعلمه، ولكنه مع ذلك كله ، فهذا العلم حتى الآن رغم مرور آلاف السنين بعيدة عن الكمال بعداً كبيراً .

١١. جون لوك: (١٦٣٢ – ١٧٠٤) :

ولد جون لوك في رينجتون لمقاطعة سومرست بانجلترا ١٦٣٢ اثناء حكم الملك شارل الاول، وكان ابوه محامياً من جامعة البيوريتان اشترك في صفوف البرلمان حيث اندلعت الحرب الاهلية ولم يكن جون لوك يتجاوز العاشرة من عمره فكانت هذه البيئة المكافحة التي نشأ فيها لوك من اكبر العوامل التي ادت إلى تفتح ذهنه على بعض الافكار السياسية السائدة في ذلك الوقت ، وتوجيه نظرة إلى الاشتغال بالسياسة فيما بعد بحيث جعلت منه بعد ذلك فيلسوف الحرية لا في انكلترا وحدها بل في اوربا ايضاً . وقد توفي في الثامن والعشرين من اكتوبر عام ١٧٠٤م .

ويعد لوك في الجانب السياسي أباً لليبرالية الحديثة في أوربا كما كانت مقالاته عن النظام النقدي رائدة في علم الاقتصاد الانكليزي وفي الفلسفة يعتبر لوك من الفلاسفة الاوائل الذين أسهموا في وضع مشكلة المعرفة بمعناها الحديث حيث طالب الناس ان يرفضوا المبادئ والأفكار الفطرية ، وان يتعقموا بأفكارهم وفي سبيل ذلك قام لوك بتحليل اللغة ومعاني الألفاظ وانتهى إلى التمييز بين الصفات الأولية والصفات الثانوية ، وتحليل فكرة الجوهر وله في تطبيق المنهج التجريبي الاستقرائي في مجال الفلسفة ولا سيما في نظريه المعرفة. أما الأخلاق فلم يضع مذهباً مكتملا ، فجاءت أراؤه الأخلاقية مبعثرة في مختلف أعماله ، وأشتهر بانتقاده لنظرية الافكار النظرية ، وقد أنسحب هذا على أرائه الأخلاقية فقد نفي وجود مفاهيم ومبادئ أخلاقية فطرية لكن يدركها الإنسان بالتجربة .

وعلى هذا فالتجربة هي أساس الأخلاق وليست الفطرة ، ولهذا انكر لوك الصورة القائمة التي رسمها (هوبز) لمعيشة الإنسان في حالة الفطرة فان هذا المجتمع البدائي أذا كان خاليا من القوانين المدنية فأن أفراده يسلكون فيما بينهم بحسب القانون الطبيعي الأخلاقي الذي فطر عليه الإنسان حيواناً عاقلاً يستطيع بعقله أن يميز بين الخير والشر وأن يعرف حقوقه وواجباته بازاء الآخرين فحياة البشر نشأة الحكومة كانت (حياة سلام وتبادل للمعرفة والحماية) . ومن أهم آرائه في الأخلاق إنكاره لحرية الإرادة بمعناها العام ، ويرى أن كل ما لدى الإنسان من حرية هو تصرفه العملي بمقتضى فكرته الخاصة ، فلدى الإنسان رغبات معنية وله أن يقارن بين نتائجها ، ثم يختار واحدة ، ويؤجل واحدة ويثبت ثالثة وهكذا ، وفي هذا وحده تقع حرية الإنسان ، وهو في أختياره رغبة ، ورفضه أخرى يسير تبعا لما تبعثه الرغبات من لذة أو ألم ، ولما كانت اللذة عند (لوك) هي الخير ، وألا لم هو الشر ، كان الخير والشر أو اللذة والالم هما الدافعان الاساسين لسلوك الإنسان ومقياس السلوك من حيث النقص والكمال هو مقدار مطابقته للقانون الأخلاقي الذي يفرض نفسه على عقولنا فرضاً .

ويرى أننا جميعاً مزودون بغريزة العقل التي هي أحد القوانين المقدسة لوجودنا البشري والقوانين المقدسة عنده تخضع حتما لاقامة البرهان عليها ، شأنها شأن مبادئ الرياضة فيقول : أن فكرة الكائن الأسمى الذي لا حدود لقوته وخبرته وحكمته والذي نحن صنيعته وعليه نعتمده ، وكلنا فكرتنا عن أنفسنا بأذنا كائنات تدرك وتعقل وترحم هذه الأفكار ، اذا ما تربعت وبحثت كما يجب من شأنها أن تجعل من الأخلاق علماً دقيقاً. وهنا نجد لوك قد أضاف نغمة جديدة وهامة إلى هذا القانون الخلقي الشامل وذلك أنه صاغ مثلاً أخلاقياً على صورة قانون علمي .

١٢. لاينبز (١٦٤٦م - ١٧١٦ م)

ولد وليم لاينبز في ليبزيغ سنة ١٦٤٦م من اب كان قانونينا ضليعا واستاذا للاخلاق في جامعة(ليبزيغ) وكانت امه ابنة استاذ في الحقوق وذات ثقافة عالية ، وقد توفي ابوه ولم يبلغ الطفل السادسة من عمره ، وترك مكتبة غذية استطاع (لاينبز) ان يقرا فيها كتب القدماء والمحدثين في سن مبكرة بدأ دراسته العالية في جامعة ليبزيغ ثم انتقل إلى جامعة (ابينا) وفي سنة ١٦٦٦ حصل على مرتبة الدكتوراه في الحقوق وشغل منصب مستشار حقوقي لحاكم المدينة وبقي حتى سنة ١٦٧٢ والف في هذه الفترة دراسات مختلفة تنم عن اهتمامه بالمسائل الدينية وبوجه خاص من ذلك كتابه المسمى اعتراف الطبيعة ضد الملحدين وسافر إلى باريس وبقي هناك حتى سنة ١٦٧٦م حيث عاد إلى المانيا مارا بامستردام اذ التقى بالفيلسوف اسبينوزا الذي اطلعه على كتاب الأخلاق فاعجب به . ثم وصل إلى هانوفر ، واستقر مبدئيا فيها خلال ٤٠ سنة الأخيرة من حياته وشغل وظيفة مدير مكتبة الدوق (دي لذبورغ) ثم أسس مجلة الأبحاث العلمية الشهيرة (اكتا) ثم أسس جمعية العلوم التي غدت مجمعا علميا وتوفي سنة ١٧١٦ .

اخضع (لاينبز) الفلسفة كلها للحكمة او الفلسفة الأخلاقية وجعل السعادة غرض الإنسان في هذا العالم ، واتخذ مبادئ العقل ، و هي مبادئ مطلقة كليا أساساً متينا يضفي على العدالة كما يضفي على الأخلاق قيمة مطلقة .

ربط (لاينبز) الخير والعدل بالإرادة الإلهية ربطا وثيقا ، فالله هو الكائن الأسمى القادر على كل شيء ،و هو في ان واحد عقلا وصلاح من معين (مجده) ينبع الحق وللحق بوجه عام ثلاث درجات هي : الحق بالمعنى الدقيق اولا: وهو يستند إلى النصوص ، ويقوم على مبدأ العدالة التعويضية ، ثم يأتي الأنصاف بل الإحسان وعماده العادلة التوزيعية .

اما التقوى او (الإخلاص) فأنها أخيراً ، حق شامل رفيع يستند إلى مبدأ العدالة الكونية وتفترض الدين الحق الصحيح ، ومن هذه الدرجات الثلاثة تصدر الأمور آلاتية : لا تـؤذ احدا ، اعط لكل إنسان نصيبه ، كن للجميع نافعا ، الحق بالمعنى الدقيق او العدالة يهدف إلى إنقاذ السلام والإحسان اسمى من ذلك لانه يتطلع إلى سعادة البشر جميعا ، كما يجوز لها ان تتحقق في هذا العالم ، ولابد من اللجوء إلى الفلسفة من اجل تحديدها و هذه الفلسفة تبين لنا ان كل شريف نافع ، وكل ما هو معيب يضرنا ، وهذا البرهان محال لو لم تعم في نفوسا روح خالدة ، ولو لم يوجد اله يحكم الكون ، او لولم تكن ثمة (جمهورية تؤخذ الاشياء كلها بعين الاعتبار . اما التقوى (العدالة الكونية) ، فهي ارفع درجات اعدالة بل هي (احسان الحكيم) او تدينه.

نـقد فلسفة لايـنـبـز الأَخلاقية

لقد حملت فلسفة لاينبز تراث التأمل البشري خلال ثلاثة وعشرين قرناً فقد بذل جهوداً في محاولة لتوحيد الفلسفات ، أذ بنى فلسفته الأخلاقية عن فكرة الكمال المتيافيريقي ، وجمعه بين السعادة والفضيلة ، والعقل والمحبة . لم يقف (لاينبز) عند ظاهرة من ظواهر الكون والقمة وقوفه على جملة الظواهر كلها كان همه الاول التأليف بين عناصر ايجابية ينتزعها من المذاهب المختلفة ليجعل منها نوعاً من فلسفة خالدة هي في الواقع فلسفته الأخلاقية الانتقائية ، وكان لا يتردد في جني هذه العناصر من حقول الفكر القديم والحديث ، لا يفرق بين لا هوت الشرقيين و جدل الاغريق ، وأثار أباء الكنيسة ، وفلسفة المتكلمين وصفوة القول ، أستغرق (لاينبز) في محاولته تبرئة الله حتى نسي الإنسان وشرط الإنسان ، نادى بضرورة التسامح ولكنه تجاهل صلات الناس بعضهم ببعض ، وأعقل طراز ارتباط الانا بالانات ولكن غاب عنه أن الناس يتعاملون في الواقع ويسلكون بين قطبين متنابذين ، أحدهما قطب الخصومة والعدوان ، والاخر قطب المحبة والإحسان ولكنهم لا يتجهون بعضهم إلى بعض ، بتوسط الله ، ولا تهدف نواياهم الاتحاد بالله لبلوغ الاحتكاك ، عن هذا الطريق بأقرانهم من الناس ، وقد ضحى (لاينبز) في سبيل فكرة الخلود والثبوت ، وهي لباب فكرة الخير المطلق ، ضحى بإمكانات الواقع وبالمعطيات الراهنة ، وبالمغامرة الذاتية ، وبالتنوع والتجديد ، وفي شأن فكرة الضرورة المينا فيزيقة التي يعتزمها ويسرف في مراعاتها ، أنها تحذف الغاية من كل بحث اخلاقي وكل مذاكرة اخلاقية ، وكل شعور واع يستهدف الحكم على قيمة العمل الأخلاقي مثل اتخاذ قرار ارادي مسؤول في صدوره و من الخير المطلق الخير بالذات الاشكل آخر من اشكال تسمية الضرورة الميتافيزيقية باسم مرادف جديد .

أن (لاينبز) يضحي بحرية الارادة في سبيل الضرورة المعقولة ، ضرورة تفسير الحوادث والاشياء تفسيراً تصورياً مفهوماً ، ولكن الأخلاق بدون حرية هي أخلاق خالية مـن التحقيق ، وجلي ان الأخلاق التي تشاد بوجه عام على اسس الميتافيزيا هي أخلاق معرفة هدفها الحقيقية غاية ومثالا ولكن الحقيقة ، ذات الحقيقة، معرفة ما هو . والأخلاق لا تبحث في الكائن بل تتناول ما ينبغي أن يكون ، وأن وضعت النزعة الفعلية الميتافيزيائية التحليل موضع الصدارة ، واتخذته سلم المعرفة والنظر ، فأن الأخلاق تنبو على ذلك و هي تقدم الذية وتعدها اصلاً فعالاً في حقل الضمير وجمال السلوك .

١٣. دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م) .

ولد هيوم في السادس العشرين من ابريل عام (١٧١١) في ادنبره-باسكتلنده من اسرة وسط بين الفقر والغنى و مات ابوه وهو رضيع ، فالقى على الام عبء تربية أبنائها مستمدة أسباب الرزق من ضيعة صغيرة كانت لزوجها ولا يعرف شيء لتعلمه في بداية حياته . والتحق في جامعة ادنبرج وهو في الثانية عشرة من عمره فاجاد دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية القديمة والفلسفة وحصل على شهادة القانون وفي عام ١٧٣٤ ارتحل إلى فرنسا و هو في الثالثة والعشرين من عمره وعكف على الدراسة قرابة ثلاثة سنوات في مدرسة (لافليش) أذ درس ديكارت وظل يفكر ويكتب المقالات إلى ان اكمل

كتبه الفلسفية وهو (رسالة في الطبيعة البشرية قبل ان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ولقد ذاع صيت هيوم حتى لقبه احد رجال عصره وهو جيمس بوزيون (بانه اعظم كاتب في بريطانيا) .

واتصل بالفيلسوف جان جاك روسو وتوثقت بينهما اواصر صداقة واصطحبه إلى بريطانيا كلاجئ سياسي وانتهت الصلة بينهما بقطيعة مشهورة ، ثم عاد هيوم إلى ادنبره موطنه الاصلي فقضى بها باقي عمره حيث اصيب في امعاه بالسرطان وعلم انه لم يعد بينه وبين ختام الاجل كتب سيرته في كتاب (حياتي) ومات في الخامسة والعشرين من اغسطس عام ١٧٧٦ .

ويرى هيوم ان الأخلاق علم تجريبي نسبي يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم النفس ويستند إلى الغريزة ، ويقوم على اسس المشاركة او التعاطف بين البشر لتحقيق منفعتهم أي مصالحهم المشتركة ، ويجزم بانه يعتمد في اخلاقه على الجاذبية الطبيعية التي لا ترتبط بالإنسان .

ويرى هيوم ان سلوك الإنسان عمل آلي محض ، وليس هناك ما يسمى بالارادة الحرة فأن عرفت طبيعة الإنسان امكنك ان تتنبأ بتصرفه في كل مواقفه المقبلة ، وهو يزعم ان الدافع الاساسي لسلوك الإنسان هو اللذة والالم ، وبهما تميز بين الخير والشر وليس العقل هو الذي يوجه اعمال الإنسان لان الفعل ملكة فطرية محضة لا شأن لها بالجانب العملي وكل اثره هو انه يوجه الدافع الذي ينبعث من الشهوة او الرغبة ، فهو يبين لنا ما هو حق ولكنه لا يستطيع ان يؤثر في السلوك على نحو معين . ان ما يدفع الإنسان إلى العمل هو المشاعر والعواطف وهو يقسم هذه المشاعر إلى هادفة وعنيفة فالأولى تشمل الجمال والقبح والاخرى تشمل الحب والكره ، والحزن والسرور ، والغرور والتواضع .

والاحكام الخلقية عدد خاضعة للعرف والعادة والبيئة الطبيعية والانسانية فالبطولة مثلا ذات مظاهر مختلفة لدى المحاربين والمسالمين ، واذ حكمنا بالخير والشر يرجع اولا وبالذات إلى عاطفة اخذناها من المجتمع فجعلتنا نقدر الحسن ونمقت القبيح . نتمسك بالسار وننفر من الضار.

وعلى هذا فأساس الأخلاق عند التعاطف ، او عاطفة الزمالة أو الإنسانية التي تحملنا على محبة الخير للناس جميعا واذا كانت الميول الخيرية ارفع من الميول الانانية وكانت هذه مذمومة وتلك ممدوحة ، فليس يرجع ذلك إلى طبيعتها بل إلى عموم منفعتها ، ولما كانت الأخلاق صادرة عن الغريزة . كانت اصولها واحدة عند الجميع ورجعت الاختلافات إلى اختلاف الظروف فالمحبة الابوية مثلا غريزة عامة ، وقتل الاطفال مظهر من مظاهرها في بلد جوه فقير.

من نافلة القول ان هيوم اتخذ موقفا معاديا للتصورات الفلسفية المطلقة والافكار المجردة عموما تلك التي لا تنبثق من الواقع ، مما جعل المفكرين يشكون في امكان المعرفة عنده ، ولكن الحقيقة ان هيوم لما يشك الا في كل ما هو بعيد عن الواقع والتجربة ، وانه وقف عند هذا الحدود ورفض ان يتخطاها ويتقبل التصورات والافكار الميتافيزيقية المجردة واوضح ان العقل عاجز عن ادراك الطبيعة الحقة للاشياء كما هي موجودة في ذاتها مستقلة عن التجزئة . ومن ثم فهو يشك في الميتافيزيقا ، وإلى حد ما في الدين وتقبل صحة العلوم الطبيعية والأجتماعية على أساس أنها علوم تنصب على دراسة ظواهر طبيعية او سلوكية فكانه يرد المعرفة إلى ظواهر لا تربط بينها سوى علاقات تجريبية فحسب ام الرياضيات فأن هيوم لا يشك فيها مطلقا .

نعت هيوم نفسه بنعت الريبة ، ورأى ان الفلسفة المثلى هي فلسفة الشكاك ، وهي حتما فلسفة انسانية يقول(كن فيلسوفا ، ولكن كن دائما إنساناً في فلسفتك كلها) . وهذه الفلسفة الريبية فلسفة احتمالية وان الأخلاق التي تلائمها ليست هي الأخلاق العقلية بل الأخلاق التي تستمد وحيها من وحي الغريزة اجل ان المحاكمة قد تتدخل اثناء توجيه العمل او تمييز جوانب الرغبة في شيء مغطى او تبيان وسائل الناجحة في بلوغ غاية مرموقة والأخلاق وقف على الطبيعة الإنسانية ، ولكن من المتضرر ان تنالها بالطريقة التجريبية التي توافق الفلسفة الطبيعية لان هذا الطريقة تبقينا في ميدان الحوادث ولا تبلغنا ميدان الواجب بوجه من الوجوه ولو نظرنا من زاوية الطبيعة وحدها إلى النوايا ، النوايا الصالحة او الطالحة ، لقينا انها ليست سوى إدراكات ونزعات ووجدنا ان الأخلاق كل الأخلاق هي في الانتقال من (الكائن) إلى (الواجبة) ولا يظهر التقدير الأخلاقي الا بظهور العواطف الإنسانية وهذا التقدير شبيه للتقدير البديعي فهناك لذة نوعية تعرب عنها كل لغة من اللغات بالفاظ خاصة .

ان النقد الموجه إلى فلسفة هيوم الأخلاقية هو ان اكتشاف الخير ومعرفته وطلبه كل ذلك يصدر عن عاطفة اخلاقية خاصة طيبة تسمى الغريزة الإنسانية و هي شعو ر عميق يدفعنا إلى محبة خير الناس جميعا لا تهم زملاؤنا واقاربنا وهذه العاطفة النبيلة تختلف عن محبة الذات التي تطلعنا على مصلحتنا الخاصة وتحملنا على الاثرة حملاً الاثرة دميمة تباين المروءة وان اخلاق (هيوم) اخلاق نفعية موسعة تستهدف الإنسانية بأسرها بيد انها نفعية لا يشاع على أسس العقل ومنطق التأمبل والحساب ولا ترتكز على دعائم التجربة والتربية والتهذيب بل تنجبس من ينبوع القلب وتمتاز بأن لها اصلا واحدا في الناس ، وهو الطبيعة البشرية .

١٤.اوجست كونت (١٧٨٩-١٨٥٧م) .

ولد اوجست كونت في عام ١٧٨٩ بمدينة مونبلييه ، من اب ضابط رقيق الحال وام ذات عاطفة رقيقة متدينة ، وكان الوالدان يعتنقان الكاثوليكية وهما من انصاره أسرة ال بورون . وفي عام ١٨٠٧ التحق اوجست بالمدرسة الثانوية وفي عام ١٨١٤ التحق بمدرسة الهندسة الحربية وفي ١٨١٦ كان له يد في مظاهرة قامت ضد بعض اللوائح التي لم ترض بالرأي فأبعد من المدرسة هو وتلاميذ صفه الذين كانوا يتبعون سان سيمون ان يرجئ الإصلاح العلمي ليشرع في الإصلاح الاجتماعي ، مخالفة لأقتناعه ، بعد قراءة دي مستر ، ان الشرط الأول للنجاح إعادة وحدة الاعتقاد إلى العقول كما كان الحال في العصر الوسيط ، ولكن بوساطة العلم لا بواسطة الدين ، ونشر بهذا المعنى كتاب بعنوان (مشروع الأعمال العلمية الضرورية لاعادة تنظيم المجتمع ١٨٢٢) تم كتاب (السياسة الواقعية عام ١٨٢٤) يعلن فيها ان فلسفة القرن الثامن عشر القائمة على حرية الإنشاء ثم اخرج كتابه الاكبر (دروس في الفلسفة الواقعية) في ستة مجلدات عام ١٨٤٢ ثم نشر كتابا بعنوان (مقال في الروح الواقعي ١٨٤٤) ثم كتابه الكبير الثاني (مذهب في السياسة الواقعية) . ثم كتاب في علم الاجتماع يضع ديانه الإنسانية ١٨٥١ — ١٨٥٤ فـي اربع مجلدات واقتصره في كتاب التعليم الديني الواقعي ١٨٥٢.

ثم بعد موت صديقته مدام كلوتيلدي فو سيطر على عقله نزعة صوفية قوية ظهرت في تفكيره وكتاباته ولا شك ان علاقته القصيرة مع هذه السيدة والنهاية المأساوية تحولت في ذهنه إلى افكار فشغل نفسه ليضع ديانة جديدة للإنسانية .

عاش كونت بعد ذلك حياة كلها زهد وتقشف وفي ايامه الاخيرة وجه همه الى التوفيق بين انصار الكاثوليكية وانصار المذهب الوضعي واراد ان يكون من الفريقين جهة واحدة ضد العناصر الثورية . ثم في اواخر حياته اصيب بمرض السرطان ومات في باريس عام ١٨٥٧.

لقد كان الهدف من وضعية اوجست كونت هو الإصلاح الذي يحتمه عليه واجب الوطن مفكراً له مكانته في عصره . وهذا الإصلاح في نظره لا يستقيم بغير اخلاق لذا نجد ان ما يقصده كونت من تأسيس علم الاجتماع سنة ١٨٣٠ هو الوصول إلى قواعد خلقية وسياسية ، ثابتة نهائية تحقق سعادة الإنسانية وكانت وسائله في ذلك اكتشاف الحقائق الأساسية التي تضمن الوحدة بين العقول . وهذا هو الذي ادى الى وضع اسس الفلسفة الوضعية . وهذا يعني ان الأخلاق تأتي بعد الاجتماع وكان مقتنعا شديد الاقناع بأن الأخلاق يجب ان يكون لها علم ينظمها لانه اكثر تعقيدا فهو خلاصة ما تنتهي اليه الغاية الإنسانية كما كن يرى ان الأخلاق هي اذفع العلوم لانها تنظم السلوك الإنساني ويجب ان تكون جميع العلوم الاخرى مقدمة للوصول إلى وضع قواعد ثابتة لتنظيم علاقة الإنسان بغيره وبالمجتمع ولذلك اضاف في اخر حياته إلى قائمة العلوم الستة الأصيلة التي هي (الرياضة ، الفلك ، الطبيعة ، الكيمياء ، البيولوجيا وعلم الاجتماع) علم سابع هو علم .

وهذه الأخلاق في نظره ليست علما نظريا مجردة لانه لاحظ عيبا مشتركا بين المذاهب الأخلاقية السابقة ادى إلى الخروج عن جادة الصواب هذا العيب يستخلص في نظرة في انها قبل ان تصبح الدراسات الاجتماعية علما وضعيا من هنا كانت غلبة النزعة الميتافيزيقية على تفكير اصحابها .

ويمكن اجمال الخصائص الرئيسة للأخلاق العلمية الوضعية عند كونت فيما يأتي :

١. ان الأخلاق عند كونت تقوم على اساس العلم الوضعي كذلك تحقق صفاته الإنسانية وهي .
أ. حقيقية أي انها تقوم على الملاحظة لا على الخيال وتنظر إلى الإنسان كما هو كائن بالفعل لا كما تتصور ان يكون

ب. انها تعتمد على التجارب التي أحرزتها الإنسانية عن طريق الميول التي سارت فيها الدوافع التي دفعتها لأنواع النشاط العادي وذلك خلال القرون التي زودنا التاريخ بمعلومات عنها .

٢. ان الأخلاق نسبية متغيرة وليست مطلقة ثابتة ، و هذه الأخلاق تستمد نسبيتها من نسبية المعرفة لان التسليم بنسبية الحقائق في مجال المعرفة يفضي بها إلى التسليم بنسبية القيم في مجال الأخلاق وغيرها من العلوم المعيارية ولما كان القول بنسبية الحقائق ابستمولوجيا لم يمنع من التمييز بين الحق والباطل او الصواب والخطأ فأن التسليم بنسبة القيم الأخلاقية لن يحول دون التفرقة بين الخير والشر كما يتوهم البعض . ومن ناحية اخرى ان وجود النوع البشري عند الوضعيين يتوقف على مجموعة كبيرة من الشروط الطبيعية والفلكية والفيزيقية والبيولوجية و الاجتماعية .
فالأخلاق عند كونت عملية وضعية ، نسبية متغيرة ليست مطلقة اجتماعية ليست فردية ، غيرية غريزية ، منهجية ليست تلقائية .

٣. ان مذهب كونت الأخلاقي يقع في منزلة وسط بين الفلسفة النظرية وبين السياسة الأخلاق ترتكز إلى الفلسفة ، ولكن السياسة تستمد مبادئها من الأخلاق

اما النقد الموجه إلى فلسفة اوغست كونت فهناك أخطاء جمة وتصورات خيالية وتنبوأت كذبتها الوقائع ، ولكن ميزة هذا الفيلسوف تتجلى اول ما تتجلى ، في انه مؤرخ بارع للعلوم ، ومؤسس لاتجاه علمي صحيح ، وواضع علم جديد بطريقة جديدة ، هو علم الاجتماع (الكونتي) وقد بنى عليه اخلاقا طريقة نبيلة ، واراد ان تكون الإنسانية وحدها ، أي المجتمع الإنساني ، ينبوع القيم كلها ، حتى القيم الدينية والأخلاقية بل انه اراد ، فوق ذلك ، ان تعد الإنسانية ، ويعد المجتمع الإنساني موضوع الابحاث الرفيعة في الفلسفة والدين والأخلاق معا

غير ان صاحب الفلسفة الوضعية (كونت) لما عجز عن ان يسبغ صلة العلم على الفلسفة عمد إلى قلب الاية ، فأضفى صفات الفلسفة على العلم ذاته ، وادعى اتصاف العلم بالصفة الكلية ، ولكن هذا التحويل لن يغير شيئا من حقيقة العلم وواقعه بل غير الفلسفة ذاتها ، وادعى اتصاف العلم بالصفة الكلية ، ولكن هو التحويل لم يغير شيئا من حقيقة العلم وواقعه بل غيرت الفلسفة ذاتها ، فأصبحت اسمى اشكال المعرفة الوضعية واكثرها سعة ، اما العلم بالمعنى الصحيح ، فقد ظل خاصا لا عاما ووجب على الفلسفة ان تمثل وجهة نظر الـ (كل) او (المجموع) حسب (اوغست كونت) ان العلم الجيد على الاجتماع ، قد تقدم بجهوده تقدماً يفوق كل تقدير ، ومن اليسير ان نفسر (قناعته) الموهومة بأنه كان يستعجل(إعادة التنظيم الاجتماعي) الذي وضع فلسفته من اجله ، ولذا نجده واثقا بأن اكتشافه العظيم لقانون حركي و هو قانون الاحوال الثلاث يكفي لانجاز هذا العلم ، حتى ظن ان (اهم ما يجب صنعه في هذا العلم قد صنع) غير ان علماء الاجتماع يفكرون اليوم (ان كل شيء تقريبا لم يصنع بعد).

على الرغم من ان نظرية اوغست كونت في الأخلاق تتميز ، بوجه خاص يحرصها على الأيمان بتغلب الإيثار على الأثرة ، وسهرها على التأليف بين العاطفة والعقل ، ولكنها تخطى في الواقع في حين تدعى ان الفرد فكرة مجردة وانه لا يوجد البته من حيث هو فرد ، وان الحق الأوحد الذي يتمتع به الفرد إنما هو حق القيام بواجبه ، ولعل السبب في ذلك ان فيلسوف الوضعية لم ينظر إلى الفرد من الناحية السلبية وقد بدأ له ان الـ(شخصي) يرادف معنى الـ (الحيواني) أي الـ (أناني) فنطق بالحكم بفسادهما جميعها ، ويشاء ان يكون مذهبه منطقيا ، ولكنه وقع في براثن العاطفة ورجح جانبها الى جانب العقل ، ولم يركز عاطفة الإيثار الكريمة حول الفرد ، بل وجد إنها تهدف إلى تحقيق واجب(عش للغير) او واجب ان (الحب مبدأ) وكلا الواجبين غامض مبهم لانه عام مشتت من جهة ولاننا نعلم من جهة اخرى ان الحب نغمة تنبثق من أعماق الكون الصميمي لدى الفرد ، وتنصب على اكثر الأشياء أصالة لدى الفرد الأخر الذي نحبه ونتعلق به . بيد ان (اوغست كونت) لا يدعونا إلى محبة الأصالة في الغير بل إلى تخصيص حبنا بالكائنات العاقلة وحسب ، وجعل الإنسانية بمثابة السويداء في قلب تلك الكائنات ، ورأى ان نفرد ها بالاحترام والإجلال والتقديس .

ان في فكر (اوغست كونت) كثيرا من التمركز الذاتي في الواقع كما هي الحال في فكر (هيجل) وهما يتفقان بأنهما يقبلان كلاهما وهم اخر الفلاسفة فينزلق المفكر طوعا في مهاوي الاعتقاد بأن حركة الأشياء وحركة الإنسانية لا يمكن ان تهدف إلى شيء اخر سوى نتائجه ، وهو ونظريته ، مما يساعد على تصور ان كل شيء انما ينتظم نهائيا حول رسالته مفكر ، ولذا فأنه ليس في الصدفة والاتفاق ان ينتهي المفكر إلى تركيب ذاتي يدير ظهره للوضعية .

لقد حاول الباحث من خلال استعراضه لمجموعة من الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا الفلسفة الأخلاقية منذ نشوء الحضارات القديمة في وادي الرافدين ومصر والصين والهند ثم اليونان والرومان لينتقل بعد ذلك إلى العصر الحديث تاركا العصور الوسطى ليتناوله في الفصل القادم والمتمثل في الحضارة العربية الإسلامية وفلاسفتها . وفي العصر الحديث تناول جما من الفلاسفة الذين لم ينظوا تحت خيمة مدرسة او اتجاه فلسفي محدد لاننا قد تناولنا المدارس الفلسفية في المبحث الأول من هذا الفصل ولذلك سلطنا الضوء على الفلاسفة الذين كان لهم استقلالا ذاتيا أي دون ارتباطهم لفلسفة محدودة ، بل كان من هؤلاء الفلاسفة من حاول ان يكون مدرسة خاصة به او اتجاه بعيدا عن الاتجاهات المعروفة .